شرح
رسالة العبودية

المجلس التاسع

فضيلة الشيخ
عبد اللّه الغنيمان
-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس التاسع

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

قال المصنف رحمه الله في رسالة العبودية: [وَأما إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم الحنفاء من الْأَنْبِيَاء وَالْمُؤمنِينَ بهم فهم يعلمُونَ أَنه لَا بُد من الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق وَلَا بُد من الْفرق بَين الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة وَأَن العَبْد كلما ازْدَادَ تَحْقِيقا لهَذَا الْفرق ازدادت محبته لله وعبوديته لَهُ وطاعته لَهُ وإعراضه عَن عبَادَة غَيره ومحبة غَيره وَطَاعَة غَيره.

وَهَؤُلَاء الْمُشْركُونَ الضالون يسوون بَين الله وَبَين خلقه والخليل يَقُول [٧٥-٧٧ الشُّعَرَاء] : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُم تَعْبُدُونَ ۙ أَنتُم وآباؤكم الأقدمون ۙ فَإِنَّهُم عَدو لى إِلَّا رب الْعَالمين﴾ ويتمسكون بالمتشابه من كَلَام الْمَشَايِخ كَمَا فعلت النَّصَارَى.

مِثَال ذَلِك: اسْم (الفناء) فَإِن الفناء ثَلَاثَة أَنْوَاع:

نوع للكاملين من الْأَنْبِيَاء والأولياء.

وَنَوع للقاصدين من الْأَوْلِيَاء وَالصَّالِحِينَ.

وَنَوع لِلْمُنَافِقين الْمُلْحِدِينَ المشبهين.

فَأَما الأول: فَهُوَ الفناء عَن إِرَادَة مَا سوى الله، بِحَيْثُ لَا يحب إِلَّا الله وَلَا يعبد إِلَّا إِيَّاه وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يطْلب من غَيره وَهُوَ الْمَعْنى الَّذِي يجب أَن يقْصد بقول الشَّيْخ أبي يزِيد حَيْثُ قَالَ: (أُرِيد ألاّ أُرِيد إِلَّا مَا يُرِيد) أَي الْمُرَاد المحبوب المرضي وَهُوَ الْمُرَاد بالإرادة الدِّينِيَّة وَكَمَال العَبْد أَلا يُرِيد وَلَا يحب وَلَا يرضى إِلَّا مَا أَرَادَهُ الله ورضيه وأحبه وَهُوَ مَا أَمر بِهِ أَمر إِيجَاب أَو اسْتِحْبَاب وَلَا يحب إِلَّا مَا يُحِبهُ الله كالملائكة والأنبياء وَالصَّالِحِينَ وَهَذَا معنى قَوْلهم فِي قَوْله [٨٩ الشُّعَرَاء] : ﴿إِلَّا من أَتَى الله بقلب سليم﴾ قَالُوا: هُوَ السَّلِيم مِمَّا سوى الله أَو مِمَّا سوى عبَادَة الله أَو مِمَّا سوى إِرَادَة الله أَو مِمَّا سوى محبَّة الله فَالْمَعْنى وَاحِد وَهَذَا الْمَعْنى إِن سمي فنَاء أَو لم يسم هُوَ أول الْإِسْلَام وَآخره وباطن الدِّين وَظَاهره.

وَأما النَّوْع الثَّانِي: فَهُوَ الفناء عَن شُهُود السوى، وَهَذَا يحصل لكثير من السالكين فَإِنَّهُم لفرط انجذاب قُلُوبهم إِلَى ذكر الله وعبادته ومحبته وَضعف قُلُوبهم عَن أَن تشهد غير مَا تعبد وَترى غير مَا تقصد لَا يخْطر بقلوبهم غير الله بل وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِهِ كَمَا قيل فِي قَوْله تَعَالَى [١٠ الْقَصَص] : ﴿وَأَصْبح فؤاد أم مُوسَى فَارغًا إِن كَادَت لتبدى بِهِ لَوْلَا أَن ربطنا على قَلبهَا﴾ قَالُوا فَارغًا من كل شَيْء إِلَّا من ذكر مُوسَى. وَهَذَا كثيرا مَا يعرض لمن دهمه أَمر من الْأُمُور: إِمَّا

حب وَإِمَّا خوف وَإِمَّا رَجَاء يبْقى قلبه منصرفا عَن كل شَيْء إِلَّا عَمَّا قد أحبه أَو خافه أَو طلبه بِحَيْثُ يكون عِنْد استغراقه فِي ذَلِك لَا يشْعر بِغَيْرِهِ.

فَإِذا قوي على صَاحب الفناء هَذَا فَإِنَّهُ يغيب بموجوده عَن وجوده وبمشهوده عَن شُهُوده وبمذكوره عَن ذكره وبمعروفه عَن مَعْرفَته حَتَّى يفنى من لم يكن وَهِي الْمَخْلُوقَات العَبْد فَمن سواهُ وَيبقى من لم يزل وَهُوَ الرب تَعَالَى وَالْمُرَاد فناؤها فِي شُهُود العَبْد وَذكره وفناؤه عَن أَن يُدْرِكهَا أَو يشهدها وَإِذا قوي هَذَا ضعف الْمُحب حَتَّى يضطرب فِي تَمْيِيزه فقد يظنّ أَنه هُوَ محبوبه كَمَا يذكر أَن رجلا أَلْقى نَفسه فِي اليم فَأَلْقى محبه نَفسه خَلفه فَقَالَ: أَنا وَقعت فَمَا أوقعك خَلْفي؟ قَالَ: غبت بك عني فَظَنَنْت أَنَّك أَنِّي.

وَهَذَا الْموضع زلت فِيهِ أَقوام وظنوا أَنه اتِّحَاد وَأَن الْمُحب يتحد بالمحبوب حَتَّى لَا يكون بَينهمَا فرق فِي نفس وجودهما وَهَذَا غلط فَإِن الْخَالِق لَا يتحد بِهِ شَيْء أصلا بل لَا يُمكن يتحد شَيْء بِشَيْء إِلَّا إِذا استحالا وفسدت حَقِيقَة كل مِنْهُمَا وَحصل من اتحادهما أَمر ثَالِث لَا هُوَ هَذَا وَلَا هَذَا كَمَا إِذا اتَّحد المَاء وَاللَّبن وَالْمَاء وَالْخمر وَنَحْو ذَلِك وَلَكِن يتحد الْمُرَاد والمحبوب وَالْمُرَاد وَالْمَكْرُوه ويتفقان فِي نوع الْإِرَادَة وَالْكَرَاهَة فيحب هَذَا مَا يحب هَذَا وَيبغض هَذَا مَا يبغض هَذَا ويرضى مَا يرضى ويسخط مَا يسْخط وَيكرهُ مَا يكره ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي.

وَهَذَا الفناء كُله فِيهِ نقص.

وأكابر الْأَوْلِيَاء - كَأبي بكر وَعمر والسابقين الْأَوَّلين من الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار - لم يقعوا فِي هَذَا الفناء فضلا عَمَّن هُوَ فَوْقهم من الْأَنْبِيَاء وَإِنَّمَا وَقع شَيْء من هَذَا بعد الصَّحَابَة].

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الكرام، وعلى آله وصحابته وسلم تسليما كثيرا.

هذا الاصطلاح الذي ابتعده الصوفية، وهو الفنا، ثم تقسيم الأفنا إلى كذا وكذا لا حاجة له، ولو أن الشيخ رحمه الله أعرض عنه لكان أولى وأحسن، وأبين وأصلح، لأن كلام الشيخ في الفناء المقصود به الإخلاص، أن يكون الإنسان مخلصا لله جل وعلا محبا له، ومريدا لما يريده الله، ومبغضا لما يبغضه الله ومعاد لأعداء الله، وهذا كونه يقال: أنه يوالي الله ويحب لله ويعمل لله ويترك لله، أوضح وأحسن وأقرب للحق من أن يقول الفناء، أنه فنا بكذا وفنا بكذا، على كل حال هو اصطلاح صوفي ما عرف إلا من قبل الصوفية، ثم التقسيم تقسيم خطأ، لأن المسلمين بالنسبة للأمر والنهي والعبادة أمرهم واحد، ما قسموا إلى خاصة وعامة، ويفنى فيه أهل السوى ويفنى في المراد ويفنى في كذا إلى آخره، على كل حال هذه الاصطلاحات الحادثة المبتدعة لا تأتي بخير، وإنما تأتي بشر وتأتي بأمور قد تكون مشكلة على بعض الناس، فيقع فيها، ولاسيما إذا تكلم بذلك مثل شيخ الإسلام، مثل العلماء الكبار المعروفين، فإنه يطلب المعنى

ويجتهد فيه، وقد يخطئ الإنسان ذلك ولا يدري، فمقصوده بالفنا كما عرفنا، أن الإنسان يكون مقصوده ومراده مراد ربه جلا وعلا، هذا هو الإخلاص لله جل وعلا، وكذلك يكون الذي يبغضه الله يكون مبغضا عنده، والذي يكون يحبه الله محبوبا عنده، وهل الناس يختلفون في هذا؟ لا يختلفون إلا اختلاف المعرفة التي تقوم بقلوبهم، ثم يتبع ذلك العمل، لأن العمل تبع للعلم والمعرفة التي تقوم في القلب، وهذا أمر ظاهر وجلي ومعروف عند المسلمين، أن الناس في الإيمان والعمل ليسوا سواء، فهذا هو المقصود بهذه الأنواع التي ذكر الفنا بكذا إلى آخر كلامه، هم يقولون: مثلا يفنى بمحبوبه عن نفسه، فهذا من الجنون، الجنون الذي هو نقص لا يكون عند أهل العقل أهل العلم، لهذا مثل ما قال: هذا لا يوجد في الصحابة ولا في أولياء الله، وإنما وجد فيها بعد لما كثرت الأفكار وكثرت المناهج التي بعضها جاء من غير دعوة إسلام، اكتسبت من أديان أخرى، وأرادوا أنهم يلصقونها بالإسلام، ويجعلونها أسماء واصطلاحات قد يعسر فهمها على كثير من الطلاب، فكثير من الناس إذا قيل الفناء أيش الفناء؟ الفناء معروف أنه انعدام هذا الشيء، ومقصودهم بالفناء الاصطلاح الذي اصطلحوا عليه نعم.

القارئ: [وَكَذَلِكَ كل مَا كَانَ من هَذَا النمط مِمَّا فِيهِ غيبَة الْعقل وَعدم التَّمْيِيز لما يرد على الْقلب من أَحْوَال الْإِيمَان.

فَإِن الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم كَانُوا أكمل وَأقوى وَأثبت فِي الْأَحْوَال الإيمانية من أَن تغيب عُقُولهمْ أَو يحصل لَهُم غشي أَو صعق أَو سكر أَو فنَاء أَو وَله أَو جُنُون].

الشيخ: إذا قال مثلا الإنسان أنا، إذا مثلا وقع في المخالفات، وقع في، مثل يقول: أنا الله يجوز أن نعذره؟ يقول: أنا فنيت في ربي عن نفسي، ولهذا تكلم في هذا الكلام الذي يريد به الحق، نقول: هذا لا يجوز، ولا يجوز أن نعذره في ذلك، هذا وقع في ذلك من وقع، وكان يقول: ما في الجبة إلا الله، يعني أنه غاب عن نفسه وغاب عن شهوده فيما يزعم أنه يحب الله جل وعلا فلا يشعر بما حوله، هذا إذا كان كذلك صحيح فهذا نقص، نقص وعيب، نقص في العقل ونقص في السلوك، الأمور المبتدعة لا تأتي إلا بشر لا تأتي بخير، والمثال الذي ذكرناه وقلنا: سقط محبوبه في البحر فاسقط نفسه خلفه فقال له: أنا سقطت بدون إرادتي فما الذي أسقطك؟ قال: ذبت عن نفسي فيك، فظننت أنك أنا، أيه العقول هذه؟ هذا إذا وقع فهو نقص ظاهر جدا وجنون أيضا نعم.

القارئ: [وَإِنَّمَا كَانَ مبادئ هَذِه الْأُمُور فِي التَّابِعين من عباد الْبَصْرَة فَإِنَّهُ كَانَ فيهم من يغشى عَلَيْهِ إِذا سمع الْقُرْآن].

الشيخ: هذا شيء آخر، كان يغشى عليه إذا سمع القرآن أو سمع المواعظ، هذا يكون معناه أن الوارد على قلبه يكون قويا، فلا يحتمله وقد يموت، وهذا وقع في كثير من التابعين وأتباع التابعين، إذا سمع المواعظ وسمع بعض ا لآيات

التي بها التخويف سقط وأغشي عليه وقد يموت، مثل قاضي البصرة، فإنه تقدم ليصلي بالناس، صلاة الفجر فقرأ سورة المدثر، فلما جاء إلى قوله: نقر في الناقور، فأغشي عليه وسقط، حركوه فإذا هو ميت، وغيره، فهذا ما وجد في الصحابة، والذي يذكر مثل ما ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه الكافي الدواء الشافي والجواب الكافي، أن عمر كان يقرأ الآية ثم يمرض ويعاد، هذا ليس صحيحا، كان يقرأ نعم ويبكي، لكن ما فيه أنه يعاد أن يسقط، ولم يقع هذا من الصحابة، لأن الصحابة إيمانهم قوي، وعقولهم قويا، وإيمانهم كالجبال، أما الذين جاءوا من بعدهم نعم، وقد يحصل في الوقت الحاضر هذا، وهذا هو السبب، كون الوارد على القلب قوي ومؤثر كثيرا فلا يحتمله قلبه ثم يغمى عليه، وهذا نقص ليس من الكمال هذا من النقص، فحالة الصحابة أكمل وأتم، نعم.

القارئ: [وَمِنْهُم من يَمُوت كَأبي جهير الضَّرِير وزرارة بن أوفى قَاضِي الْبَصْرَة].

الشيخ: زرارة بن أوفى هو قاضي البصرة الذي مات في القراءة نعم].

القارئ: [وَكَذَلِكَ صَار فِي شُيُوخ الصُّوفِيَّة من يعرض لَهُ من الفناء وَالسكر].

الشيخ: في قصص الزهاد والوعاظ، هذا تعقيبه إذا كان صحيحا، وبعضه صحيح وبعضه قد يكون فيه مبالغات والله أعلم، ولكن كل هذا ليس مطلوبا، ولا ينبغي أن يثنى على الإنسان في ذلك نعم.

القارئ: [مَا يضعف مَعَه تَمْيِيزه حَتَّى يَقُول فِي تِلْكَ الْحَال من الْأَقْوَال مَا إِذا صَحا عرف أَنه غالط فِيهِ كَمَا يحْكى نَحْو ذَلِك عَن مثل أبي يزِيد وَأبي الْحُسَيْن النوري وَأبي بكر الشبلي وأمثالهم].

الشيخ: أبو بكر الشبلي له أشياء كثيرة وغيره كلهم، أبا يزيد البسطامي ذكر عنه كلام سيء جدا، وكان يقول: رأيت الله، قال: لو رأيت فلان، قال له: رأيت كذا وكذا، هو كلام لا ينبغي أن يذكر، هو شيخ الإسلام يقول: أن هذا يعني يؤوله على هذا التأويل، حيث أنه يقول أنه يغيب عن عقله، عقله يغيب في هذه الأمور لضعف المورود عليه وكونه يحب أمر الله ويحب وعده أو يتأثر به، ثم يتكلم كلاما لا يشعر به، يقول: بدليل أنه إذا عوتب فيها بعد ينكر، ويقول: ما قلت هذا الشيء ولا خرج مني، يقول: وهذا دليل على أنه يغيب عقله وشعوره ويكون معذورا في ذلك، لكن الذي يكون معذور يكون مأجور؟ لا يستويان نعم، والشبلي كان يقول: أنا لا أعبد الله، على حسب ما يروى عنه والله أعلم هل يصح ولا لا يصح، أنا لا أعبد الله شوقا لجنته أو إرادة لجنته أو خوفا من ناره، وإنما أعبده حبا له، وابتلي بحبس البول فصار يذهب، وكان يعلم الصبيان، يذهب إليهم ويقول: استغفروا لشيخكم الكذاب، ما تحمل، ما استطاع أن يتحمل هذا المرض الذي أصيب به، صار يصيبه الألم، إذا كان لا يتحمل هذا كيف يتحمل النار؟ يقول:لو أحرقني بالنار، لصرت أسبح وأكبر وأهلل، وأرى أني في نعيم، هذه كلها رعونات وكلاما لا يجوز أن يغتر به،

فالإنسان مسكين لا يتحمل عذاب الله، عذاب الدنيا لا يتحمله، فكيف بعذاب الآخرة، فإن العذاب إذا وقع فيه يكون شديد، لهذا يقول: يجب أنك تسأل ربك العافية في الدنيا والآخرة، فعذاب الدنيا يكون مؤلم وشديد ويحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى قوة تحمل قد لا توجد، نعم، ومثل ذلك يروى أيضا عن رابعة العدوية وعن غيرها، ولكن نقول: إذا صحت هذه فلا يجوز أن يقتدى بها، فهم قالوها من باب اجتهادهم وتصورهم بأنهم بهذه الحالة، ولكن إذا وقعوا في العذاب يختلف الأمر، إذا مسهم العذاب يعلمون أنهم ضعفاء، وأنهم لا يتحملون ذلك نعم.

القارئ: [ومعروف الْكَرْخِي والفضيل بن عِيَاض بل وَبِخِلَاف الْجُنَيْد وَأَمْثَاله مِمَّن كَانَت عُقُولهمْ وتمييزهم].

الشيخ: الفضيل بن عياض رحمه الله، لما مات ابنه وقيل له: ابنك مات، ضحك ويقولون أن هذا يدل على الرضا أنه راض بالقدر، فهل هذا يكون أكمل من الرسول ﷺ، لا، مات ابنه وصارت تزرف عيناه ويقول: «**يحزن القلب وتدمع العين، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»، هذا أكمل، لأنه كما قال: هذه رحمة يرحم بها الضعيف الذي أصيب بهذا الألم الشديد، الموت ما هو سهل، ويقف عند أمر الله ﷻ، كونه ضحك لأنه قدر قدره الله فأنا أفرح به، يضحك، هذه حالة ولكن حالة المصطفى أتم وأكمل وأولى بأن تتبع، ولا تتبع حالات الناس الآخرين نعم.

القارئ: [فَلَا يقعون فِي مثل هَذَا الفناء وَالسكر وَنَحْوه بل الكمل تكون قُلُوبهم لَيْسَ فِيهَا سوى محبَّة الله وإرادته وعبادته وَعِنْدهم من سَعَة الْعلم والتمييز مَا يشْهدُونَ [بِهِ] الْأُمُور على مَا هِيَ عَلَيْهِ بل يشْهدُونَ الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِأَمْر الله مُدبرَة بمشيئته بل مستجيبة لَهُ قانتة لَهُ فَيكون لَهُم فِيهَا تبصرة وذكرى وَيكون مَا يشهدونه من ذَلِك مؤيدا وممدا لما فِي قُلُوبهم من إخلاص الدِّين وَتَجْرِيد التَّوْحِيد لَهُ وَالْعِبَادَة لَهُ وَحده لَا شريك لَهُ.

وَهَذِه هِيَ الْحَقِيقَة الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْقُرْآن وَقَامَ بهَا أهل تَحْقِيق الْإِيمَان والكمل من أهل الْعرْفَان وَنَبِينَا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِمَام هَؤُلَاءِ وأكملهم وَلِهَذَا لما عرج بِهِ إِلَى السَّمَاوَات وعاين مَا هُنَاكَ من الْآيَات وأوحي إِلَيْهِ مَا أُوحِي من أَنْوَاع الْمُنَاجَاة أصبح فيهم وَهُوَ لم يتَغَيَّر حَاله وَلَا ظهر عَلَيْهِ ذَلِك بِخِلَاف مَا كَانَ يظْهر على مُوسَى من التغشي صلى الله عَلَيْهِم وَسلم أَجْمَعِينَ.

وَأما النَّوْع الثَّالِث مِمَّا قد يُسمى فنَاء: فَهُوَ أَن يشْهد أَن لَا مَوْجُود إِلَّا الله وَأَن وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق].

الشيخ: موسى عليه السلام شاهد أمرا هائل، وهو تدكك الجبل فصعق، يعني أنه مثل هذا شاهد جبلا يتدكدك، لا يثبت في هذا الضعيف مثل المخلوق الذي، أما الرسول ﷺ ما شاهد الشيء مثل هذا الشيء، حتى يقول: أنه بقي على طبيعته ما أصابه، ثم لا ندري ما حصل له في السماوات، لما رأى من سدرة

المنتهى وغشيها من أمر الله ما غشيه، الله جل وعلا أخبر أنه رأى من آياته الكبرى، والله أعلم ما هي الآيات التي رآها، ولكن ليس كتدكك الجبل الذي موسى طلب من الله جل وعلا أن يراه، وهو مقصود أن موسى غشاه هذا الشيء، يعني لما شاهده، ولهذا الله جل وعلا يخبرنا أن الصعقة تصيب الناس إذا فوجئوا بأمر عظيم، يصعقوا والإنسان يذهب عقله، فإذا نفخ في الصور يصعق من في السماوات ومن في الأرض من شدة النفخة بل ما هو أقل من هذا كثير، فالله أخبرنا عن قوم صالح أن جبريل صاح بهم صيحة فأخذتهم الصيحة، وهي صيحة جبريل، صوته صاح بهم فسقطوا رماد، كأنهم نفس واحدة، فإذا جاء الإنسان الذي فوق طاقة الإنسان لا يثبت، يموت وينتهي، فموسى عليه السلام رأى من هذا النوع فغشي عليه، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، يعني تبت أني أسأل هذا السؤال، لأن هذا لا يحتمله الإنسان في هذه الحياة نعم].

القارئ: [وَأما النَّوْع الثَّالِث مِمَّا قد يُسمى فنَاء: فَهُوَ أَن يشْهد أَن لَا مَوْجُود إِلَّا الله وَأَن وجود الْخَالِق هُوَ وجود الْمَخْلُوق].

الشيخ: وهذا كفر بالله جل وعلا، كفر بالله، الشهود هذا، لأنه معناه لا يميز بين الخالق والمخلوق، فيصير كل شيء عنده شيء واحد، وهم في هذا يقعون في الكفر وقد يشعرون وقد لا يشعرون، لهذا يقول أحدهم: أنا دائما في طاعة، إن عصيت أمره الشرعي أطعت أمره القدري، ويقول أحدهم: أصبحت منفعلا

لما يراد بي ففعلي كله طاعات، حتى الزنا والسرقة والتعدي، يزعم أنه طاعة، لأنه موافق لايش؟ للأمر الكوني، لأنه لا يقع شيء في الكون إلا بإرادة الله الكونية القدرية، هذا معناه أنه انسلاخ من الشرع، وإتباع للشيء الذي يراه ويتصوره أنه طاعة وهو معصية، الإنسان مثلا يترك الصلاة ويقول: هذه طاعة؟ لأن هذا مقدر؟ هذا لا يمكن أنه يستساغ أبدا، نعم.

القارئ: [فَلَا فرق بَين الرب وَالْعَبْد فَهَذَا فنَاء أهل الضلال والإلحاد الواقعين فِي الْحُلُول والاتحاد وَهَذَا يبرأ مِنْهُ الْمَشَايِخ].

الشيخ: نعم وهذا يبرئ منه، الشيخ لما كان في وقت كثر فيه هذه الأنواع، وغيرها من الأمور المخالفات، صار يتكلم في حالاتهم ثم يتلمس لهم الأعذار لبعضهم أنهم يكون هذا بخلاف عادتهم، ولكن الذي يخالف الشرع ويخالف هدي الرسول ﷺ يستحق أنه يعاقب، ويستحق أنه يقاطع، ويستحق أنه يحذر منه، ويخبر الناس بأن طريقته غير سليمة، وأنه مخالف لما جاء به المصطفى ﷺ حتى لا يغتر به الناس، أما هو في نفسه فقد يعذر لأنه اجتهد في هذا، ووصل للشيء الذي يرى أنه مجتهد، إن كان مثل المشايخ، المشايخ المفترض أنهم يعرفون، يعرفون الحق من الباطل، والإلحاد الذي هو الحلول أو الاتحاد، الحلول كما قالت النصارى: إن الإنسان حل في الإله، اللاهوت حل في الناسوت، ولهذا هذا ما يقوله إلا بعضهم ليس كلهم، ولهذا قالوا: إن عيسى هو الله، يعني أن الله حل به، وهكذا قال اليهودي الخبيث الماكر الذي جاء لإفساد

دين المسلمين ابن سبأ، قال: إن إلهنا حل في علي، فعلي هو إلهنا، فالحلول معناه أن يحل الإله في الإنسان أو في المخلوق أو في أي شيء، يعني المخلوق سواء كان حيوان أو إنسان أو غيره، وبعضهم إذا رأى من يعجبه صورته من امرأة أو أمرد أو ما أشبه ذلك يقول: هذا إلهنا والله حل فيه، هذا كفر، كفر بالله جل وعلا وإلحاد، وضلال بين وظاهر، أما الاتحاد، الاتحاد جنون، وإهدار للعقول نهائيا، لأنهم يقولون: الله هو المخلوق، ولا فيه اثنين، لا يجوز أن تقول: خالق ومخلوق، كل شيء هو الخالق، ولهذا بعضهم يقول: أنا الله والله، يصرح بهذا، ويقول: إذا صليت، صليت لنفسي، وإذا سبحت، سبحت لنفسي، وإذا جاء رسول فهو مني إلي، وليس هناك فرق بين خالق والمخلوق، ولما قيل لمثل هذا: كلامك هذا يقتضي أنه لا فرق بين الماء والخمر، ولا بين الزوجة والأم، فقال: وهو كذلك، ولكن المحجوبون قالوا بالفرق فقلنا عليكم، أما نحن فلا فرق، فهل هذا يمكن أن نقول أنه ضلا فقط؟ هذا إهدار للعقول وإهدار للشرع، وضلال متناهي، والمقصود الفرق بين الحلول والاتحاد، الاتحاد اتحد الخالق بالمخلوق فصار شيئا واحد، والحلول الخالق جل وعلا حل بالمخلوق، دخل فيه فصار، فكله كفر بالله جل وعلا، فهل هذا وجد في الأمم السابقة، ما نعرف أن هذا وجد في الأمم السابقة، إلا ما قالت النصارى، ولكنه في هذه الأمة في قوم يزعمون أنهم هم العارفون، يطلقون على أنفسهم العارفين أو الأولياء، كل

هذا اشتغال فيه، وذكره لا فائدة فيه ولا خير فيه أصلا، لأنه ضلال متناهي وليس بعده ضلال نعم.

القارئ: [إِذا قَالَ أحدهم: مَا أرى غير الله أَو لَا أنظر إِلَى غير الله وَنَحْو ذَلِك، فمرادهم بذلك مَا أرى رَبًّا غَيره وَلَا خَالِقًا وَلَا مُدبرا غَيره وَلَا إِلَهًا لي غَيره وَلَا أنظر إِلَى غَيره محبَّة لَهُ أَو خوفًا مِنْهُ أَو رَجَاء لَهُ؛ فَإِن الْعين تنظر إِلَى مَا يتَعَلَّق بِهِ الْقلب فَمن أحب شَيْئا أَو رجاه أَو خافه الْتفت إِلَيْهِ وَإِذا لم يكن فِي الْقلب محبَّة لَهُ وَلَا رَجَاء لَهُ وَلَا خوف مِنْهُ وَلَا بغض لَهُ وَلَا غير ذَلِك من تعلق الْقلب لَهُ لم يقْصد الْقلب أَن يلْتَفت إِلَيْهِ وَلَا أَن ينظر إِلَيْهِ وَلَا أَن يرَاهُ وَإِن رَآهُ اتِّفَاقًا رُؤْيَة مُجَرّدَة كَانَ كمن لَو رأى حَائِطا وَنَحْوه مِمَّا لَيْسَ فِي قلبه تعلق بِهِ.

والمشايخ الصالحون رَضِي الله عَنْهُم يذكرُونَ شَيْئا من تَجْرِيد التَّوْحِيد وَتَحْقِيق إخلاص الدِّين كُله بِحَيْثُ لَا يكون العَبْد ملتفتا إِلَى غير الله وَلَا نَاظرا إِلَى مَا سواهُ لَا حبا لَهُ وَلَا خوفًا مِنْهُ].

الشيخ: هذا بينه الرسول ﷺ غاية الكلام، وهذه المشايخ كلامهم يجب أن يعرض على كلام الرسول ﷺ، فإن وافقه قبل لأنه وافق كلام رسول الله ﷺ، وإن خالفه يجب أن يرمى به وجوههم ولا يبالى بهم مهما كان، ولا يكون العبد عبدا لله جل وعلا إلا بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وإخلاص العمل لله جل وعلا، ومثل هذا ما يحتاج إلى أن يبينه فلان وفلان، لأن الرسول ﷺ جاء به

واضحا جليا وهو دعوته، بل لب دعوته إلى الله جل وعلا، فأول ما قرع أسماع الناس من قوله، قوله: «**قولوا لا إله إلا الله**»، وإذا كان الإله هو الله وحده، ولا يجوز أن يأله غيره ويتجه إليه ويعبد غيره فهذا هو الإخلاص، هو الذي بينه ﷺ ووضحه نعم.

القارئ: [بل يكون الْقلب فَارغًا من الْمَخْلُوقَات خَالِيا مِنْهَا لَا ينظر إِلَيْهَا إِلَّا بِنور الله، فبالحق يسمع وبالحق وبالحق يبصر، وبالحق يبطش وبالحق يمشي فيحب مِنْهَا مَا يُحِبهُ الله وَيبغض مِنْهَا مَا يبغضه الله ويوالي مِنْهَا مَا وَالَاهُ الله ويعادي مِنْهَا مَا عَادَاهُ الله وَيخَاف الله فِيهَا وَلَا يخافها فِي الله ويرجو الله فِيهَا وَلَا يرجوها فِي الله فَهَذَا هُوَ الْقلب السَّلِيم الحنيف الموحد الْمُسلم].

الشيخ: سبق أن القلب السليم، الذي سلم من التعلق بغير الله، هذا هو القلب السليم، وقد أخبر الله جل وعلا أنه لا ينجوا من عذابه إلا من أتى الله بقلب سليم، فهو سالم أن يكون عنده شيء من الشرك صغيره وكبيره، أما إذا صار عنده شيء من الشرك، سواء كان من الشرك الخفي، أو من الشرك الجلي الكبير أو الصغير، فإنه لم يسلم فقد يناله شيء من العذاب، ولكن القلب لما غلب عليه، كما أن العبد لما غلب عليه من العبودية، ولهذا صار كثير من المسلمين يلقى في النار، فيبقى فيتفاوتون فيها على قدر مخالفاتهم، إذا كان أصل الإيمان موجود عندهم في قلوبهم مستقر ما خرج منه، فهو يطهرون من هذه التعلقات التي تعلقوا بها بغير الله جل وعلا، فإذا مات الإنسان سالما قلبه من التعلق

بالمخلوق الذي هو تعلق التأله والعبادة، فإنه لا يناله عذاب، وهو الـذي أخـبر الله جل وعلا أنه لا خوف عليه ولا هو يحزن، والخوف هو من أمـور المـستقبلة المتوقعة، والحزن يكون على الأمور الفائتة التي فاتت، فهو لا يحزن على ما يفوته من الدنيا، ولا يخاف فيما يستقبله من الأمور الآخرة، لأنه صار عبـدا لله مخلـصا له العمل، هذا أمر واضح لا خفاء فيه، وهو دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، كل رسول يأتي يقول: اعبدوا الله ما لكم من إلـه غـيره، والإلـه هـو الـذي يألـه القلب، عبادة وتعلقا ورجاء وخوفا، ولهذا قال قوم هود لهم لما دعاهم إلى هـذا: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾، فهـم فهمـوا هـذا تمـام الفهم، أن العبادة لله وأن كل ما يعبد من دون الله يجب أن يترك ويجتنب، وهـذا هو الإخلاص، هو الإخلاص وهو الذي إذا تحـلى بـه الإنـسان فقـد جـاء ربـه بقلب سليم إذا مات عليه نعم.

القارئ: [فَهَذَا هُوَ الْقلب السَّلِيم الحنيف الموحد الْمُسلم الْمُؤمن الْمُحَقق الْعَـارِف بِمَعْرِفَة الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ وتحقيقهم وتوحيدهم.

فَهَذَا النَّوْع الثَّالِث الَّذِي هُوَ الفناء فِي الْوُجُود هُوَ تَحْقِيـق آل فِرْعَـوْن ومعـرفتهم وتوحيدهم كالقرامطة وأمثالهم].

الشيخ: هو عبادة المخلوق، في الحقيقة عبادة المخلوق لكل ما في معنـى الكلمـة من العبادة، واجتناب عبادة الله جل وعلا نعم.

القارئ: [وَأما النَّوْع الَّذِي عَلَيْهِ أَتبَاع الْأَنْبِيَاء فَهُوَ الفناء الْمَحْمُود الَّذِي يكون صَاحبه بِهِ مِمَّن أثنى الله عليهم].

الشيخ: يجب أن نقول: هو الإخلاص، الإخلاص لله جل وعلا، وأما الاصطلاحات الصوفية التي فيها الخفا، لا ينبغي أن ننشرها وأن نتكلم فيها، لأنها لا تزيد الأمر إلا تعمية، ومعروف أن إذا كانوا مثلا يعدلون عما قاله الرسول إلى شيء يصطلحون عليه فإن هذا نقص، ولماذا ننشر كلامهم ونعتني به، ولأن هناك أناس يتبعونهم ويفتنون بهم، هذا مقصود الشيخ، كثير من الناس صار كلام هؤلاء أرغب عندهم من كلام الله وكلام رسوله، واصطلاحاتهم يتمسكون بها غاية التمسك، ولهذا صار يتكلم بهذا من أجل أن يبين لهم نعم.

القارئ: [الَّذِي يكون صَاحبه بِهِ مِمَّن أثنى الله عَلَيْهِم من أوليائه الْمُتَّقِينَ وَحزبه المفلحين وجنده الغالبين.

وَلَيْسَ مُرَاد الْمَشَايِخ وَالصَّالِحِينَ بِهَذَا القَوْل أَن الَّذِي أرَاهُ بعيني من الْمَخْلُوقَات هُوَ رب الأَرْض وَالسَّمَاوَات فَإِن هَذَا لَا يَقُوله إِلَّا من هُوَ فِي غَايَة الضلال وَالْفساد إِمَّا فَسَاد الْعقل وَإِمَّا فَسَاد الِاعْتِقَاد فَهُوَ مُتَرَدّد بَين الْجُنُون والإلحاد.

وكل الْمَشَايِخ الَّذين يقْتَدى بهم فِي الدِّين متفقون على مَا اتّفق عَلَيْهِ سلف الْأمة وأئمتها من أَن الْخَالِق سُبْحَانَهُ مباين].

الشيخ: ينبغي أن نعرف أن الكلام الذي يصدر من المشايخ ومن غيرهم، الذي يحتاج إلى أن نؤوله حتى يتفق مع ما جاء به الرسول ﷺ، هل يكون هذا كمال ولا يكون نقص؟ هذا من النقص في الواقع، من النقص، العدول عن الأمور الواضحة التي جاء بها ا لرسول ﷺ في الحقيقة أنها نقص وليس كمالا، ولكن ماذا يصنع الناس إذا كانوا على هذه الطريقة؟ لابد من إرجاعهم إلى الحق ببيان الحق الذي يجب عليهم أن يسلكوه ويقولوه، فإذا صار مثلا قولهم، وإن كان فيه غموض وكان فيه خفاء، له محمل على المحامل الصحيحة التي تتفق مع ما جاء به المصطفى حمل على ذلك، وإن كان ما جاء به الرسول من القول والفعل أولى وأكمل وأتم وأبين وأقرب إلى الفهم، ولكن إذا فتن الناس بذلك، لابد من بيانه، فلابد من الكلام فيه، فهذه عادة الشيخ التي يتكلم بها، لأن كثيرا من الناس أشكل عليه الفناء أيش هو الفناء؟ هل الرسل جاءت بالفناء؟ تفنى بكذا وتقسيم الفناء إلى كذا وكذا، والفناء معناه وما يتعلق به، يعني اصطلاحي أمر مصطلح لهم نعم.

القارئ: [وَلَيْسَ فِي مخلوقاته شَيْء من ذَاته وَلَا فِي ذَاته شَيْء من مخلوقاته وَأَنه يجب إِفْرَاد الْقَدِيم عَن الْحَادِث وتمييز الْخَالِق عَن الْمَخْلُوق وَهَذَا فِي كَلَامهم أَكثر من أَن يُمكن ذكره هُنَا.

وهم قد تكلمُوا على مَا يعرض للقلوب من الْأَمْرَاض والشبهات فَإِن بعض النَّاس قد يشْهد وجود الْمَخْلُوقَات فيظنه خَالق الأَرْض وَالسَّمَاوَات لعدم التَّمْيِيز وَالْفرْقَان فِي قلبه بِمَنْزِلَة من رأى شُعَاع الشَّمْس فَظن أَن ذَلِك هُوَ الشَّمْس الَّتِي فِي السَّمَاء.

وهم قد يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفرق وَالْجمع وَيدخل فِي ذَلِك من الْعبارَات].

الشيخ: نقول: هذا أيضا اصطلاح ثاني الفرق والجمع، وهو من كلام الصوفية واصطلاحاتهم الفرق والجمع، الفرق بين الحق والباطل، والجمع بينهما، ولكن هم لهم اصطلاح غير هذا، ولا يجوز أن يكون عندهم الإنسان من هؤلاء يخفى، ولهذا من يأتون بالكلام يزعمون أنه لا يفهمه إلا هو، ويقول: نحن في أمور تخفى على عامة الناس وعلى علماء الظاهر، يسمون العلماء إما علماء الظاهر أو علماء الشريعة، ونحن علماء الحقيقة وعلماء الأمر الباطن، فهل الشرع جاء بتقسيم الناس إلى عالم حقيقة وعالم شريعة؟ أو عالم ظاهر وعالم باطن؟ أو أنه سالك لهذا ولهذا؟ هذا كله من الأمور المبتدعة المخترعة التي صار فيها تفرقة، وصار فيها أيضا صار فيها في الواقع اشتباه، وصار فيها لكثير من الناس مداخل للشيطان، نعم.

القارئ: [فَإِن العَبْد إِذا شهد التَّفْرِقَة وَالْكَثْرَة فِي الْمَخْلُوقَات يبْقى قلبه مُتَعَلقا بهَا مشتتا نَاظرا إِلَيْهَا وتعلقه بهَا إِمَّا محبَّة وَإِمَّا خوفًا وَإِمَّا رَجَاء].

الشيخ: فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات، المخلوقات كثيرة ومتفرقة، ولكن ليس المراد هذا، المراد تعلق القلب ورجاءه وحبه وخوفه، هذا يجب أن يكون لله جل وعلا وحده، المخلوقات كلها فقيرة إلى الله جل وعلا محتاجة إليه، والإنسان ميزه الله جل وعلا على سائر المخلوقات بالعقل والفكر، وكذلك جعله محلا للأمر والنهي، ما كل المخلوقات محل لعبادته، فالمخلوقات فطرت على هذا خلقة، أما هو يجب أن يكون هذا باختياره، باختياره ومقدوره، نعم.

القارئ: [فَإِذا انْتقل إِلَى الْجمع اجْتمع قلبه على تَوْحِيد الله وعبادته وَحده لَا شريك لَهُ فَالْتَفت قلبه إِلَى الله بعد التفاته إِلَى المخلوقين فَصَارَت محبته إِلَى ربه وخوفه من ربه ورجاؤه لرَبه واستعانته بربه وَهُوَ فِي هَذَا الْحَال قد لَا يسع قلبه النّظر إِلَى الْمَخْلُوق ليفرق بَين الْخَالِق والمخلوق فقد يكون مجتمعا على الْحق معرضًا عَن الْخلق نظرا وقصدا وَهُوَ نَظِير النَّوْع الثَّانِي من الفناء.

وَلَكِن بعد ذَلِك الْفرق الثَّانِي وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمَخْلُوقَات قَائِمَة بِاللَّهِ مدبره بأَمْره وَيشْهد كثرتها مَعْدُومَة بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنه سُبْحَانَهُ رب المصنوعات وإلهها وخالقها ومالكها فَيكون - مَعَ اجْتِمَاع قلبه على الله إخلاصا ومحبة وخوفا ورجاء واستعانة وتوكلا على الله وموالاة فِيهِ ومعاداة فِيهِ وأمثال ذَلِك - نَاظرا إِلَى الْفرق بَين الْخَالِق والمخلوق مُمَيّزا بَين هَذَا وَهَذَا يشْهد تفرق

الْمَخْلُوقَات وَكَثْرَتهَا مَعَ شَهَادَته أَن الله رب كل شَيْء ومليكه وخالقه وَأَنه هُوَ الله لَا إِلَه إِلَّا هُوَ.

وَهَذَا هُوَ الشُّهُود الصَّحِيح الْمُسْتَقيم وَذَلِكَ وَاجِب فِي علم الْقلب وشهادته وَذكره ومعرفته وَفِي حَال الْقلب وعبادته وقصده وإرادته ومحبته وموالاته وطاعته.

وَذَلِكَ تَحْقِيق شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله فَإِنَّهَا تَنْفِي عَن قلبه إلوهية مَا سوى الْحق وَتثبت فِي قلبه إلوهية الْحق.

فَيكون نافيا لإلوهية كل شَيْء من الْمَخْلُوقَات مثبتا لإلوهية رب الْعَالمين وَرب الأَرْض وَالسَّمَاوَات وَذَلِكَ يتَضَمَّن اجْتِمَاع الْقلب على الله وعَلى مُفَارقَة مَا سواهُ فَيكون مفرقا فِي علمه وقصده فِي شَهَادَته وإرادته فِي مَعْرفَته ومحبته بَين الْخَالِق والمخلوق بِحَيْثُ يكون عَالما بِاللَّهِ تَعَالَى ذَاكِرًا لَهُ عَارِفًا بِهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِك عَالم بمباينته لخلقه وانفراده عَنْهُم وتوحده دونهم وَيكون محبا لله مُعظما لَهُ عابدا لَهُ راجيا لَهُ خَائفًا مِنْهُ محبا فِيهِ موَاليا فِيهِ معاديا فِيهِ مستعينا بِهِ متوكلا عَلَيْهِ مُمْتَنعا عَن عبَادَة غَيره والتوكل عَلَيْهِ والاستعانة بِهِ وَالْخَوْف مِنْهُ والرجاء لَهُ والموالاة فِيهِ والمعاداة فِيهِ وَالطَّاعَة لأَمره وأمثال ذَلِك مِمَّا هُوَ من خَصَائِص إلهية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَإِقْرَاره بإلوهية الله تَعَالَى دون مَا سواهُ يتَضَمَّن إِقْرَاره بربوبيته وَهُوَ أَنه رب كل شَيْء ومليكه وخالقه ومدبره فَحِينَئِذٍ يكون موحدا لله.

وَيبين ذَلِك أَن أفضل الذّكر لَا إِلَه إِلَّا الله كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن أبي الدُّنْيَا الْحَمد لله ". وَفِي " الْمُوَطَّأ].

الشيخ: جاء في الصحيح أيضا ما هو أوضح من هذا: «**أفضل قلت أنا والنبيين من بعدي**»، قال: «**أفضل الدعاء دعاء عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من بعدي لا إله إلا الله**»، والسبب في فضل هذه الكلمة أنها تدل على الإخلاص والتوحيد، التوحيد في الباطن وفي الظاهر، ومعلوم أن الإنسان لا يكون ناجيا وعابدا على الحقيقة، إلا إذا كان عمله خالصا لله، ومقصود به وجهه جل وعلا فقط، والكلمة هذه تدل على هذا، فهي واضحة في ذلك، ولكن كثير من الناس لا يفهمها، لا يفهم السبب لعدم فهم هذه الكلمة وبعدهم عن اللغة العربية وعن معناها، وحياتهم التي كانوا يزاولونها في أمور تناقض معنى هذه الكلمة، ولهذا تجدهم مثلا يقول أحدهم: لا إله إلا الله، ويذهب يستنجد بصاحب القبر ويسأله مثل ما يسئل الله جل وعلا، وإذا قلت له في ذلك قال: أنا أقول: لا إله إلا الله، وأنا أصلي، كيف مثلا تقول لي أنا هذا شرك، وأنا أقول أن الرسول ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**» ، وأشه ذلك من الأمور التي يتشبثون بها وهي ضلال بين، لأن ليس المقصود قول لا إله إلا الله باللفظ دون

المعنى، يجب أنه إذا قال: لا إله إلا الله يفهم معناها ويعمل بمدلولها، وإلا لا فائدة في ذلك، مجرد كلام يتلفظ به يكون مثل كلام السكران، أو الذي يهزوا بشيء لا يدري ما هو ولا ينفعه، والمقصود أن فضل الذكر بها، هو لأجل ذلك لأجل أنها إخلاص وتوحيد لله جل وعلا، وكلما كان الإنسان مخلصا لله جل وعلا، فإن عمله أحب لله جل وعلا من غيره وإن قل، فالمهم الإخلاص، وأن يكون العمل موافقا للشرع، أما كثرة العمل وهو على غير إخلاص لا فائدة فيه ولا عبرة به، ويكون الإنسان ممن يظن أنه على خير، وهو يتقرب إلى النار، كما قال الله جل وعلا: ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية﴾، هي عندها عمل تكد وتتعب وتنصب لذلك، وفيها خشوع،كيف يكون فيها خشوع وعمل ونصب، ثم النتيجة أنها تصلى نارا حامية؟ إما لأنها غير مخلصة لله جل وعلا، أو أنها على بدع وضلال، ليست على دين الرسول ﷺ، ولا يكون إلا هذا، إما هذا أو هذا فقط، فهذا نقول: أن كون هذه فضيلة يعني لا إله إلا الله، لأنها هي الأصل في هذا، الأصل الإله، أنه يكون تعلقه وتألهه بربه وحده، ولا يجوز أن يتعلق قلبه خوفا ورجاءا وتألها بمخلوق من المخلوقات، الناس منهم من يستكثر هذا ومنهم من يستقل، لهذا أقول: هذا هو أصل الدين الذي خلق الله جل وعلا الجن والإنس له، فهو بقولك لا إله إلا الله، ولهذا كانت الرسل هذه دعوتهم، كل رسول يأتي إلى أمة، أول ما يتكلم به عندهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، لا يأتي يقول: صلوا وتصدقوا وكذا وكذا، هذا لا

يكون إلا بعد، الرسول بقي ثلاثة عشر سنة في مكة يدعوا إلى هذا، فقط عندهم قتل وعندهم زنا وعندهم سرقات وعندهم ظلم، أي نعم أنا أعرف، أي نعم أن هذا إثم محرم، ولكن حتى لو انتهوا لا فائدة يجنونها من وراء ذلك، إلا إذا قالوا: لا إله إلا الله، عبدوا الله بذلك، وهذا أيضا يرسل الدعاة بهذا الأمر، كما في الصحيحين، لما أرسل معاذ إلى اليمن قال: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب**»، أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكلاهما كان موجود في اليمن، «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أجابوك إلى ذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**»، فقوله: «**فإن هم أجابوك إلى ذلك**»، معناه يعني مفهومه أنهم إن لم يقولوا لا إله إلا الله لا يدعون إلى الصلاة، ولا فائدة في الصلاة منهم أصلا، لأن هذا هو الأصل الذي يبنى عليه العمل كله، قول لا إلا الله، فلابد منها، ولابد من فهمها والعمل بما دلت عليه، فهذا مثل ما يقول أيضا فيما بعد صار في جميع أحواله يقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»، الدين الواجب كله من حقها، كل الواجب والمستحب من حق لا إله إلا الله، كما فهم ذلك الصحابة، أبو بكر والصحابة معه، فالمقصود أن هذا الذي يجب أن يركز عليه ويفهم فإذا جاء مثل هذا الحديث : «**أفضل الذكر لا إله إلا الله** »، يعني هذا هو أصل الدعوة، أصل الدين أصل العبادة، كل العبادة ترجع إليه إلى هذا، ولكن لو سئلت كثيرا من

المسلمين أيش معنى الإله؟ يمكن قد يسحن وقد لا يحسن، والغالب أنهم لا يحسنون، أكثرهم لا يدري أيش معنى الإله؟ وكثير منهم يقول: معنى الإله الرب، هو المتصرف وهو الخالق، هكذا يقول: معنى الإله الخالق، حتى خفي هذا على بعض العلماء المتكلمون، وإذا رأيت ماذا يقول الرازي في تفسيره في تفسير قوله جل وعلا، الرازي الذي ملأ الأرض من الكتب، يغلط في هذا، أيش السبب؟ شيء يعني،لما جاء إلى قوله جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿وجاوزنا ببنى إسرايِيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾، تكلم في هذا كلام غريب عجيب، يعني معنى كلامه يقول: هذا من العجائب، كيف قوم موسى يشاهدون فلق البحر، ويشاهدون ما يشاهدون من آيات الله العصا وانفجار المياه والعيون من حجر، حجر يحمل تنفجر منه اثنى عشر عين لكل سبط عين، ثم يطلبون من موسى أن يجعل لهم رب، هذا صحيح الكلام هذا؟ طلبوا أن يجعل لهم رب ولا يجعل لهم إله؟ إله، إله يألهونه ويعبدونه، والأشعري رحمه الله، الأشعري على كبره وكثرة علمه لما جاء إلى الكلام في هذا قال: الإله هو القادر على الاختراع، هكذا يقول في كتابه، الإله القادر على الاختراع، الإله هو القادر على الاختراع؟ هذا معنى الرب، هو الذي يخترع ويغلب، أما الإله فهو الذي يأله ويعبد ويقصد بالعبادة، فالمقصود إذا مثلا العامة جهلوا هذا ليس غريبا، والسبب الإعراض عما جاء به المصطفى ﷺ والاشتغال بكلام الناس،

وكلام المشايخ أهل التصوف وغيرها، يبتعد الإنسان عن الشيء، ثم قد يأخذ اصطلاحات ويسير عليها ثم العبادة، لو سألت كثيرا من المسلمين الآن، ما هي العبادة مفهوم العبادة ما هو؟ يقول لك: العبادة الصلاة والصوم والحج، العبادة تشمل كل ما تعلق الإنسان به طلبا لنفعه أو دفعا للضر، العبادة أشمل من أن تكون صلاة وصوم وحج فقط، كل ما كلف به الإنسان تكليفا من الله ومن رسوله ففعله أو تركه عبادة، فالعبادة يدخل فيها الفعل ويدخل فيها الترك، ويدخل فيها العقيدة، ويدخل فيه الفعل بالجوارح والقول وغير ذلك، ولهذا لما عرف العلماء الإيمان، علماء السلف، قالوا: الإيمان عقيدة، قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، من المؤسف الآن أن كثيرا من طلبة العلم مختلفون في تعريف الإيمان، حتى يوجد في ا لرسائل التي تخطب في الجامعات، يتساءلون هل العمل شرط في الإيمان أو أنه العمل يكون جزء من الإيمان أو كذا إلى غيره؟ يعني هذا الإيمان الذي جاء به الرسول ﷺ جاء بأمر قطعي لا يجوز أنه يختلف فيه، ثم كيف يكون العمل شرط، والإيمان يتقدم على العمل؟ الفقهاء لما ذكروا الشروط قالوا: شروط الصلاة تتقدم عليها، هل الشروط توجد في المهية ولا قبلها؟ قبل المهية، فكيف يكون العمل شرط، يعني مقدم قبل المشروط، الشرط يكون قبل المشروط، قبل وجود المشروط لابد، لكن كل هذا كونهم مثلا أعرضوا عن ألفاظ الرسول ﷺ، وعن المعاني التي جاء بها الرسول ﷺ وعن وضوحها وجلائها واضحة وجلية، والسلف أيضا في

تعريفهم ماذا؟ بين، يقولون: الإيمان يتكون من هذه الأمور الثلاثة، الإيمان هذه الأمور يعني كلها يتكون منها الإيمان، فإذا فقد واحد منها فقد الإيمان، إنسان مثلا، هذا يذكرونه بالإجماع، مثل ما ذكر الإجماع النووي على هذا، يقول: اتفق العلماء على من اعتقد صحة الإيمان وعمل بذلك ولم يتكلم ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله أنه من أهل النار، وأنه كافر ما جاء بالإيمان، لابد أن يتكلم أولا يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا القول يتبعه الأقوال الأخرى، ثم يعمل بمقتضى هذا، ولابد أن يكون في قلبه اعتقاد صحة هذا الشيء، ويكون عالما به، أنه حق جاء به المصطفى، فمجموع هذه الأمور الثلاثة هي الإيمان، وإذا فقد واحدا منها فقد الإيمان، نعم.

القارئ: [وَفِي " الْمُوَطَّأ " وَغَيره عَن طَلْحَة بن عبيد الله بن كريز أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: " أفضل مَا قلت أَنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ لَهُ الْملك وَله الْحَمد وَهُوَ على كل شَيْء قدير ". وَمن زعم أَن هَذَا ذكر الْعَامَّة وَأَن ذكر الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُفْرد وَذكر خَاصَّة الْخَاصَّة هُوَ الِاسْم الْمُضمر فهم ضالون غالطون].

الشيخ: الاسم المضمر هو، هكذا كما تبتدعه الصوفية، يقولون: الله لا إله إلا هو، هذا ذكر العامة الذين لا يفهمون شيئا أما ذكر الخاصة هو، ولهذا ينبحون كالكلاب هو، هو هو ليس ذكرا ولا ينفع، لأنه ليس جملة مفيدة، الذكر لابد أن

يكون جملة مفيدة، على هذا يكون ذكر خاصة الخاصة، الله المستعان، وابن عربي ألف كتابا سماه كتاب الهو، يكون هذا علم كتاب علم كتاب الهو، إذا اجتمعوا وجدتهم لا تفرق بين ذكرهم وبين نبح الكلام، وربما يكون نبح الكلاب أحسن لأن هذا بدعة، وبدعة قبيحة من أقبح ما يكون، والمشكلة في هذه الأمور حتى العلماء الذين يرمقون ويشار إليهم، يقسمون الدين والأمور إلى خاص وإلى عام وإلى خاصة الخاص، فمثلا مثل ما يقول الهروي رحمه الله: التوحيد أقسامه ثلاثة، توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة، ثم بعد ذلك يقول: ما وحد الواحد من واحد، فكل من وحده فهو لاحد، إلى آخره، أيش هو الكلام ده؟ هل مثلا هذا الذي هذا اللي يفسر التوحيد ويبينه لنا يقسمه بها التقسيم، وهل الرسول ﷺ دعا الناس إلى أقسام ثلاثة، قال: العامة والعلماء وعامة المسلمين لهم توحيد، وخاصتهم لهم توحيد، وخاصة الخاصة لهم توحيد؟ كله بدع بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ، نعم الناس يتفاوتون في العلم، في معرفة الله جل وعلا، وكل ما كان الإنسان أفقه في صفات الله وأسمائه، وأعلم بذلك، يجب أن يكون أتقى، على طبيعته ويكون أقرب إلى الله جل وعلا، ليست الأمور بالكثرة، الأمور بالإتباع وبالإخلاص لله جل وعلا، فالإخلاص هو المنجي وإن قل، وكثرة الأعمال إذا كانت على غير هدى وعلى غير الشرع، مهدرة وليست، وكثير من الناس يعمل أعمالا يحسب أنه مهتدي، وهو في عمى وفي ضلال نعم.

القارئ: [واحتجاج بَعضهم على ذَلِك بقوله [٩١ الْأَنْعَام] : ﴿قل الله ثمَّ ذرهم فِي خوضهم يَلْعَبُونَ﴾].

الشيخ: قل الله يعني أنك تقتصر على الله في ذكرك الله هو الله، فهل إذا قلت الله هذا ذكر؟ هل يكون ذكر هذا ولا لا؟ ليس ذكرا، لأنه لا يفيد، الذكر لابد أن يكون جملة مفيدة، فكيف إذا قال هو، يقولون في بعضهم يقول: أنا أخشى أني أموت قبل أن أكمل الله، فأقول: هو، كلام يعني كلام بايخ نعم.

القارئ: [من أبين غلط هَؤُلَاءِ فَإِن الِاسْم [الله] مَذْكُور فِي الْأَمر بِجَوَاب الِاسْتِفْهَام فِي الْآيَة قبله].

القارئ: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾، يعني هو الذي أنزل الكتاب، هذا هو معناه نعم.

القارئ: [: الله هُوَ الَّذِي أنزل الْكتاب الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى فالاسم [الله] مُبْتَدأ وَخَبره قد دلّ عَلَيْهِ الِاسْتِفْهَام كَمَا فِي نَظَائِر ذَلِك؛ تَقول: من جَاره؟ فَيَقُول: زيد. وَأما الِاسْم الْمُفْرد مظْهرا أَو مضمرا].

الشيخ: هذا أمر واضح، ولكنه يريد أن يبطل كلامهم هـذا، يقولـون أن ذكرنـا الله يكفي، وبعضهم يقول: الخاصة لا يقولون الله، يقول هو، لأنه صـار عارفـا بالله جل وعلا، فلا يريد أن يجري على لسانه إلا الله فقـط، فـإذا كـان مـثلا هـو يقصد به الله فهو خاصة الخاصة، أولا هذا غير صحيح في الكلام، ثانيا أن هـذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثالثا: أن هذا قالوه لأجل أن عند الوزن والـرقص لما صاروا يرقصون ويغنون يصير موزون، موزون في كلامهم، فالعجيب أنه صـار الرقص عبادة، وترديد الكلام الذي يريدون منه فقط الوزن الذي يكـون متفـق مع توقيعاتهم في الرقص، هذا صار نعم.

القارئ: [فَلَيْسَ بِكَلَام تَامّ وَلَا جملَة مفيدة وَلَا يتَعَلَّق بِهِ إِيـمَان وَلَا كفـر وَلَا أَمـر وَلَا نهي.

وَلم يذكر ذَلِك أحد من سلف الْأمـة وَلَا شرع ذَلِـك رَسُـول الله صـلى الله عَلَيْـهِ وَسلم وَلَا يُعْطي القلبَ بِنَفسِهِ معرفَة مفيدة وَلَا حَالا نَافِعًا وَإِنَّمَا يُعْطِيـهِ تـصورا مُطلقًا وَلَا يُحكم عَلَيْهِ بِنَفْي وَلَا إِثْبَات فَإِن لم يقْتَرن بِهِ من معرفَة الْقلـب وحالـه مَا يُفِيد بِنَفسِهِ وَإِلَّا لم يكن فِيهِ فَائِدَة والشريعة إِنَّمَا تـشرع مـن الْأَذْكَـار مَـا يُفِيـد بِنَفسِهِ لَا مَا تكون الْفَائِدَة حَاصِلَة بِغَيْرِهِ.

وَقد وَقع بعض من واظب على هَـذَا الـذّكر فِي فنـون مـن الْإِلْحَـاد وأنـواع مـن الِاتِّحَاد كَمَا قد بسط فِي غير هَذَا الْمَوْضُوع.

وَمَا يذكر عَن بعض الشُّيُوخ من أَنه قَالَ: أَخَاف أَن أَمُوت بَين النَّفْي وَالْإِثْبَات، حَال لَا يقْتَدى فِيهَا بصاحبها فَإِن فِي ذَلِك من الْغَلَط مَا لَا خَفَاء بِهِ إِذْ لَو مَاتَ العَبْد فِي هَذِه الْحَال لم يمت إِلَّا على مَا قَصده ونواه إِذْ الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ وَقد ثَبت أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَمر يتلقين الْمَيِّت: " لَا إِلَه إِلَّا الله " وَقَالَ: «من كَانَ آخر كَلَامه: لَا إِلَه إِلَّا الله دخل الْجنَّة »، وَلَو كَانَ مَا ذكره محذورا لم يلقن الْمَيِّت كلمة يخَاف أَن يَمُوت فِي أَثْنَائِهَا موتا غير مَحْمُود بل كَانَ يلقن مَا اخْتَارَهُ من ذكر الِاسْم الْمُفْرد.

وَالذكر بِالِاسْمِ الْمُضمر الْمُفْرد أبعد عَن السّنة وَأدْخل فِي الْبِدْعَة وَأقرب إِلَى ضلال الشَّيْطَان فَإِن من قَالَ: يَا هُوَ يَا].

الشيخ: ما ينبغي أن نقول هكذا، أن نقول: أن الذكر المفرد أبعد عن السنة وأقرب من البدعة، بل يجب أن نقول: أنه بدعة، بدعة محضة وضلالة، ما قريب من البدعة فقط بل هو بدعة، وليس من السنة في شيء، السنة ما سنة الرسول ﷺ ولم يأتي عن الرسول ﷺ ذكر المفرد نقول: الله، الله وقد يحتج محتج بقوله في الحديث الذي جاء أن الرسول ﷺ يقول: أنه في آخر الزمان يعرف القرآن ولا يبقى معرفة، حتى لا يقال في الأرض: الله، الله هو معناه أنها الله، الله هذا أنه ذكر، ولكن مقصوده أنهم لا يعرفون الله جل وعلا، ولا يذكروه، ليس هذا شرعا نعم.

القارئ: [فَإِن من قَالَ: يَا هُوَ يَا هُوَ أَو هُوَ هُوَ وَنَحْو ذَلِك لم يكن الـضَّمِير عَائِـدًا إِلَّا إِلَى مَا يصوره قلبه].

الشيخ: هذا لا يفهم منه إلا نبح الكلاب.

القارئ: [وَالْقلب قد يَهْتَدِي وَقد يضل.

وَقد صنف صَاحب " الفصوص " كتابا سَمَّاهُ كتاب " الهو " وَزعم بَعـضهم أَن قَوْله [٧ آل عمرَان] : ﴿ وَمَا يعلم تَأْوِيله إِلَّا الله ﴾ مَعْنَاهُ: وَمَا يعلـم تَأْوِيـل هَـذَا الِاسْم الَّذِي هُوَ الهو].

الشيخ: الحقيقة أنه لا يوجد أعجب من بني آدم، يعني لو تفكر في مخلوقـات مـا تجد أعجب مـن بنـي آدم في أفكـاره ونحلـه وسـلوكياته، مـا فيـه شيء إلا مـن الضلال إلا وتجده في بني آدم، الحيوانـات لا تفعـل هـذا ولا قريبـا منـه، ولهـذا يكون من أقبح خلق الله، إذا رأيت مـثلا إنـسان عاريـا يمـشي في الـشارع أمـام الناس، بأيش نحكم على هذا؟ مناظر قبيحة قبيحة، لا ذوق ولا عقل ولا حيـاء ولا دين، الحيوانات خلقت على هذا لا يضر، الحيوانات لها قبول في مثـل هـذا، ولكن الإنسان الله جل وعلا امتن علينا أو ما ذكـر بعـد نـزول آدم إلى الأرض، أنه قال: ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ﴾، ثم يـأتي من يزعم أنه عاقل، وأنه مميز ويجـرد نفـسه مـن اللبـاس، ويمـشي عاريـا أمـام

الناس، فهل هذا صار مثل الحيوان، أقبح من الحيوان بكثير، ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾، أسفل سافلين في خلقه وخلقه، وسلوكه، أسفل سافلين، أسفل من الحيوانات، السؤال يقول: حسب ما مر، ما هو تعريف العبادة؟ كل لا نقول اسم، اسم جامع طيب من يشرح لنا التعريف أو بعض الشرح ما هو لازم نعم، ايش لون؟ قوله اسم ايش يخرج منه؟ اسم لكل ما يحبه ويرضاه طيب وايش نخرج من هذا؟ يعني الذي لا يحبه ولا يرضاه لا يكون عباده، وقوله: من الأقوال والأفعال، يعني أن الشرع يكون بهذه الأمور الثلاثة، فقوله: الباطنة والظاهرة أيش معنى الباطنة والظاهرة؟ والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.